

البناء

قمة العشرين... الولايات المتحدة «تكرّم» فيينا بالدفن؟! ١

♦ د. محمد بكر*

قد انهار عملياً، فيما (أكد المؤكّد) الناطق باسم الكرملين ديمتري بيسكوف لجهة أن إيجاد آليات مشتركة مع الغرب لمكافحة الإرهاب يبدو مستبعداً، مضيفاً أن اللقاء الذي جمع بوتين بأوباما لم يصح نقطة تحول في العلاقات الثنائية وتالياً فإنّ «نعيم» المسارات السياسية بين البلدين ولا سيما في سورية باتت ملصقة على جدران أنطاليا.

إنّ تقديم أوباما الفعل الأميركي باتجاه الانتقال السياسي في سورية على محاربة «داعش»، ونحو تقليص قدرات التنظيم على تدميره، يؤكّد مضمّن السياسة الأميركية في مضاعفة جهودها ليس لمكافحة حقيقية لـ«داعش»، إنّما في احتواء التنظيم، وتبني نهج «تقليم الأظافر» والاستمرار السياسي في مفاعل ذلك، أيّ تعزيز سياسة الصبر الاستراتيجي في التعاطي مع «داعش»، وعدم الالتفات مطلقاً لمعروض بوتين في قمة العشرين، ومن هنا جاء الإعلان الروسي عن انهيار الاتفاق مع واشنطن حول آليات محاربة الإرهاب، إذ تمضي أميركا قدماً في ترسيخ استراتيجية ما أعلنته البنتاغون غير مرة لجهة عدم التعاون مع روسيا في سورية في ظلّ رؤيته الثابتة، لجهة أن الحراك الروسي في سورية هو لدعم نظام الأسد فقط، ربما ما أعلنه بوتين قبيل القمة لجهة التعاون مع الجيش الحر في ضرب مواقع لـ«داعش»، وأن الاتفاق الوحيد الذي يجمع بلاده بواشنطن في سورية هو التنسيق لعدم التصادم بين الطرفين في الأجواء السورية، وكذلك إعلان وزارة الدفاع الروسية توسيع نطاق عمل السوخوي، هو ما استولد كل ذلك الاعتراض الأميركي، وتالياً إطلاق النار على اجتماع فيينا ونسف عوامل حياته وبقاءه بل ودفنه، في انتظار أميركي لتطورات ميدانية بعينها، أو

أسدلت قمة العشرين الستارة، معلنة نهاية العرض. عرض تحبّطت فيه المشاهد المؤدّة على مسرح أنطاليا بشكل يعكس بما لا يدع مجالاً للشك اختلاف النصوص وطريقة الإخراج، بوتين كان مقنعاً جداً في أدائه السياسي وقدّم عرضاً حافلاً بالقدرة ومقومات نجاح أيّ تحالفات ضدّ الإرهاب، كاشفاً قنوات تمويل هذا الإرهاب، ولم يبخل بتقديم صور فضائية تظهر أبعاد إجتار «داعش» بالنفط في سورية والعراق، كذلك لم يجد أي حرج في اتهام دول تشارك في القمة بدعمها للإرهاب، أوباما كان عرضه مختلفاً تماماً عن نظيره الروسي، استمر في صياغة نصه الالتفافي (الدعائي) داعياً إلى مضاعفة الجهود لانتقال سياسي في سورية ومحاربة داعش وجه الأخير وجه الشر بحسب تعبيري، والهدف الأميركي هو تقليص قدرات التنظيم ثم تدميره، بدورها أثارت حمية الطائرات الفرنسية التي لم تكن بحجم اعتداءات باريس وأعلنت فرنسا أن عشرة طائرات أوروبية قتلت أثناء استهدافات مواقع ومخازن أسلحة لداعش في الرقة، بدوره قرأ أوليغ سيرومولوتوف نائب وزير الخارجية الروسية الفاتحة «ضمناء» على اجتماع فيينا الذي أصبح في اعتقادنا في عداد الأموات على الرغم من إعلان جولة جديدة منه الشهر المقبل، إذ طالما قرنت الرؤية الروسية السورية لأي مسار سياسي بضرورة أن تكون مقدمته مكافحة الإرهاب، إذ أكد سيرومولوتوف أنّ الاتفاق مع الغرب عتوم وأميركا خصوصاً في ما يتعلق بمكافحة الإرهاب

كوا ليسا

أفاد شهود عيان أنّ الحدود التركية من جهة الرقة وتل أبيض مع سورية وصولاً إلى حدود الموصل العراقية مع تركيا تشهد جولات تفتيش بطائرات بدون طيار تقوم بتصوير الخط الحدودي، خصوصاً لما يبدو بوضوح من منصات أو معابر لمرور النفط عبر أنابيب أو شاحنات، ولم يُعرف ما إذا كانت الطائرات تابعة لسلاح الجو التركي نظراً إلى انخفاضها، أم هي تابعة لسلاح الجو الروسي...؟

سيناريوهات تؤسس في الاعتقاد الأميركي لصياغة أوراق ضاغطة على الحراك الروسي في الميدان السوري، وتالياً صياغة عوامل «بعث» جديدة لفيلينا وفق المعايير والمواصفات الأميركية، إذ تشير صحيفة «ميليت» التركية أن تركيا تستعد لتدخل عسكرياً في شمال سورية خلال شهر كانون الأول المقبل، وهذا ما أكدته صحيفة «نيزا غازيتا» الروسية لجهة أن تركيا تعمل على عرقلة توجهات الكرملين في سورية، فيما قالت مديرة المعهد الروسي للدراسات الاستراتيجية إيلينا سوبولينا: «أنه من الخطأ استبعاد بدء العمليات العسكرية التركية في سورية لأنّ النفاش في شأنها يجري في القيادة التركية كما أن هناك أصوات من جانب العسكر في الإدارة الأميركية تؤيد التوجه التركي وإن إرسال 50 ضابطاً أميركياً إلى سورية هو مقدمة ربما لتكثيف الوجود العسكري الأميركي هناك.»

في اعتقادنا أن أي حديث عن «انفراجات استراتيجية» في ما يتعلق بالآزمة السورية، وعن «تأنازل» أميركية في المشهد السوري بحسب ما نشرته صحيفة «الحياة» السعودية أخيراً، هو حديث لا يزال مبكراً، فالطريق للحل السياسي السوري وتوافق الإرادات الدولية لمكافحة الإرهاب لا يزال يطغى بالعواقب والعبث والمطبات وصور الكباش، تماماً كتوصيف فرنسوا هولاند الجيش أنه سيلتقي الرئيسين الروسي والأميركي لتوحيد القوة كبرى، تبدو معها أيام «داعش» ليست أياماً معدودة على الإطلاق.

* كاتب فلسطيني مقيم في سورية
mbkr83@hotmail.com

بكين تلتزم ضبط النفس في قضية بحر الصين الجنوبي

قال نائب وزير الخارجية الصيني ليو تشن مين أمس إن بلاده أظهرت ضبطاً للنفس في بحر الصين الجنوبي من خلال عدم السيطرة على جزر تحتلها دول أخرى على الرغم من قدرتها على القيام بذلك.

وأضاف المسؤول الصيني في مؤتمر صحفي في بكين إن بلاده كانت ضحية حقيقة لأن لديها في سبراتيلى الجزر المحتلة بشكل غير قانوني من قبل ثلاث دول، وقال: «الحكومة الصينية لديها الحق والقدرة على استعادة الجزر والشعاب المرجانية التي تحتلها دول الجوار بشكل غير قانوني، مضيفاً: «لكننا لا نفعّل ذلك. حافظنا على ضبط النفس بشكل كبير بهدف الحفاظ على السلام والاستقرار في بحر الصين الجنوبي.»

وجاءت تصريحات الدبلوماسي الصيني قبيل قمتين إقليميتين، حيث سيكون الممر الألماني محل النزاع أحد الموضوعات الساخنة المطروحة على طاولة النقاش. وستهيمن على الأريج التوترات بشأن بحر الصين الجنوبي على قمة شرق آسيا التي تعقد في وقت لاحق هذا الأسبوع في كوالالمبور.

وسيجلس الرئيس الأميركي باراك أوباما الذي وصل إلى ماينيل يوم الثلاثاء القديتين. ويحضر الرئيس الصيني شي جين بينغ قمة «أبيك» في ماينيل، بينما يحضر رئيس الوزراء الصيني لي كه تشيانغ قمة شرق آسيا في ماليزيا.

وتطالب واشنطن بالسيادة على معظم بحر الصين الجنوبي وتطالب أيضاً فيتنام والفلبين وماليزيا وتايوان وبيروناي بالسيادة على أجزاء من البحر الذي تمر منه تجارة دولية بقيمة خمسة تريليونات دولار سنوياً. وأثار بناء الصين لثلاثة مطارات ومشاة أخرى على بعض الجزر الصناعية في أرخبيل سبراتلي اللق في المنطقة وأثار أيضاً قلق واشنطن من أن الصين توسع نفوذها العسكري.

الحرس الثوري ينفي استشهاد اللواء سليمان

نفي المتحدث باسم الحرس الثوري الإيراني العبد رمضان شريف صحة مزاعم رددتها وسائل الإعلام الصهيونية عن استشهاد اللواء قاسم سليمان.

وقال العبد شريف، في تصريح أدلى به أمس: «إن «الإسرائيليين» يضعون آمالهم وأحلامهم المشؤومة ضمن مزاعم خيرية ويبنونها عبر وسائلهم في الأجواء الافتراضية»، مؤكداً أن أكاذيبهم حول اللواء سليمان تدخّل في هذا الإطار.

إلى ذلك، أكد وزير الدفاع الإيراني العبد حسين دقان في مقابلاته هاتفية مع نظيره السوري العبد هادي جاسر الفريخ، استعداد الجمهورية الإسلامية في إيران لاستمرار المساعدات للحكومة والشعب السوريين.

ووجهات النظر حول آخر المستجدات في العلاقات الدفاعية والتعاون الثنائي والقضايا الإقليمية والدولية. وهذا العبد دقان. الانتصارات الأخيرة التي حققها الجيش والقوات الشعبية السورية في مواجهة الإرهاب وأعلن استعداد الجمهورية الإسلامية الإيرانية لتقديم المزيد من الدعم للحكومة والشعب السوري، وقال: «إن مستقبلنا مشرقاً ومغرباً بالأمل والنصر في انتظار الشعب السوري البطال.»

بدوره شكر وزير الدفاع السوري، المواقف الحكيمة لقاقد الثورة الإسلامية القائد العام للقوات المسلحة والدعم الذي يقدمه الشعب الإيراني لسورية، واصفاً دور الجمهورية الإسلامية في إيران في إحلال الاستقرار والأمن بالهمم والحيوي، وأطلع نظيره الإيراني على آخر المستجدات في جبهات القتال ضد الإرهاب.

الاتحاد الأوروبي يوافق على طلب فرنسي لتقديم مساعدة عسكرية لباريس في محاربة الإرهاب

فرنسا تضع رعاياها العائدين من سورية والعراق تحت الإقامة الجبرية

وكانت وسائل الإعلام قد ذكرت أن رجال الأمن تمكنوا من تحديد الشقة التي كان يقيم فيها أحد منفذي الهجوم، وتحديد إبراهيم عبد السلام الذي فجر نفسه في بولفار فولتير.

كما كشفت السلطات عن أسماء المهاجمين الآخرين، وهم عمر اسماعيل مصطفاوي (29 سنة)، وسامي عميمور (28 سنة)، وبلال حديفي (20 سنة) وجميعهم مواطنون فرنسيون.

كما أدرجت الاستخبارات الفرنسية على قائمة الإرهابيين الأحمدمحمد (25 سنة) من مواليد إربل في سورية الذي عثر على جواز سفره السوري قرب جفته. وهذا الشخص تم تسجيله في اليونان في تشرين الأول بحسب بصماته.

وأحمد محمد الذي تقول الشرطة إنه يجب التحقق من صحته جواز سفره، غير معروف من أجهزة مكافحة الإرهاب الفرنسية. وبذلك لم تعلن باريس حتى الآن عن اسمي المهاجمين السادس والسابع.

وفي شأن متصل، قالت صحيفة «ديبرينر أور» البلجيكية إن الشرطة عثرت على طلقات رصاص ومواد كيميائية يمكن استخدامها في تصنيع قنبلة في منزلي رجلين في بروكسيل اعتقلا للاشتباه في ارتكابهما جرائم إرهابية ذات صلة بالهجمات التي وقعت في العاصمة الفرنسية باريس.



والدعم بجميع الوسائل المتاحة وفق المادة 51 في ميثاق الأمم المتحدة.»

وفي تصريحات صحافية له بعد اجتماع وزراء الدفاع، أوضح لوريان أن فرنسا تريد من شركائها تقديم مساعدة عسكرية وأنواع أخرى من المساعدة لتنفيذ مهمات عسكرية في الشرق الأوسط وأفريقيا.

وأكد الوزير الفرنسي أن جميع أعضاء الاتحاد استجابوا للطلب الفرنسي، متوقعاً أن يقدم الجميع مساعدات وعمليات فرنسية في مختلف المناطق، وقال: «إنه خطوة سياسية قبل كل شيء. لكن بالإضافة إلى ذلك، كيف سيعمل هذا القرار؟ يمكن تطبيقه عبر التعاون في سياق التدخلات الفرنسية في سورية

تنوي الحكومة الفرنسية فرض شروط مراقبة قاسية مثل الإقامة الجبرية على رعاياها العائدين من سورية، بحسب ما أعلن مصدر حكومي فرنسي.

وقال المصدر إن الحكومة تريد أن يخضع الفرنسيون المرتبطون بشبكات إرهابية سورية وعراقية مسبقاً لـ«تأشيرة عودة» التي قرّرها، مشيراً إلى أن «هذه الإجراءات والشروط تقترض مراجعة الدستور.»

وأضاف أن المراجعة الدستورية «سوف تخلق نظاماً أزمته يتيح تطبيق إجراءات استثنائية وهو لا يؤثر في ممارسة الحريات العامة إلا في قيود محددة من أجل ضمان الأمن القومي»، مؤكداً أن «هذه الإجراءات يجب أن تتماشى مع المعايير الخاصة للتهديد الإرهابي وخصوصاً منته، ويمكن أن تذهب أبعد مما ينص عليه القانون الحالي لحالة الطوارئ.»

وفي السياق، وافق الاتحاد الأوروبي على طلب رسمي تقدمت به باريس لمساعدتها عسكرياً في محاربة تنظيم «داعش» في سورية والعراق.

وقالت قديريكيا موغرييني الممثلة الأوروبية العليا لسياسة الخارجية والأمن في الاجتماع الأوروبي: «طلب فرنسا، كما نعرفه، المساعدة منا وفق المادة 42.7 لاتفاقية الاتحاد الأوروبي، واليوم أعرب وزراء دفاع جميع دول الاتحاد بالإجماع، عن الدعم التام والاستعداد لتقديم كافة المساعدة الضرورية.»

وكان وزير الدفاع الفرنسي جان ليف لو دريان أكد في حسابه على موقع «تويتر» الإلكتروني أمس أنه قدم في بروكسيل طلباً رسمياً لتقديم المساعدة العسكرية لبلاده «استناداً المادة 42.7»، في إشارة إلى المادة الخاصة به «المساعدة المتبادلة» في الاتفاقية الأساسية للاتحاد الأوروبي.

وقال مسؤولون فرنسيون إنه أول مرة تلجأ فيها أي دولة من دول الاتحاد الأوروبي إلى هذه المادة التي تتعلق بتقديم المساعدة العسكرية، التي تنص في حال تعرضت دولة من أعضاء الاتحاد لعدوان مسلح في أراضيها، يجب على الدول الأعضاء أن تقدم المساعدة

عراق، أو عبر تقديم الدعم للعمليات الأخرى تجريها فرنسا.»

ذكرت وسائل إعلام فرنسية أن الشرطة تمكنت من التعرف إلى جميع منفذي هجمات باريس الإرهابية.

وأوضحت إذاعة «أر تي إل» الفرنسية أن المهاجم السابع الذي لم يعلن اسمه حتى الآن، كان مواطناً فرنسياً وشارك في الهجوم على «باتاكلان»، مضيفاً أن الهيئة العامة للأمن الداخلي تمكنت من التعرف إلى جفته اعتماداً على صور له، كانت في قاعدة البيانات التابعة لها. نظراً لكون الإرهابي يخضع للمراقبة الأمنية بسبب انتمائه إلى التيار الإسلامي المتشدد.

نعم علينا أن نعترف أنه في ظلّ رداءة المرحلة وكارثة أو سلو وما تلاها، كان هناك زلزال مدمر طال كل مناحي حياة الشعب الفلسطيني، زلزال بحجم النكبة أو أكثر، لعب دوراً رئيساً في تقسيم الأرض والشعب الفلسطيني وأحدثت تصدعات وانشقاقات عمودية وأفقية، ليس على مستوى الحركة الوطنية والسياسية فقط، بل هنك وفنك ودمر النسيج المجتمعي.

ولذلك هذه المرحلة داهمت الفضائل والأحزاب، وخلقت حالات واسعة من الإرباكات في صفوفها، وفقد العديد منها تجاه البوصلة، ولونه السياسي وهويته الفكرية، وحتى الوحدة التنظيمية والسياسية في التنظيم تعرّضت للاهتزاز والتفكك، وجرى تعويم الهوية الفكرية، بحيث ضاعت النجوم والفوارق ليس على صعيد المواقف والبرامج السياسية بين القوى والفضائل، بل على صعيد هويتها الفكرية، وجرّت تحولات في بنية وقيادة القوى والأحزاب، بحيث لم تعد الملهم وقوة المثال للجماهير في النضال والتضحية والمسلك والموقف.

ما كادت الفضائل تلملم أوضاعها بعد اتضاح حجم الدمار والخراب الذي أحدثه أو سلو في الواقع الفلسطيني، وعمليات الذبح المشروع الوطني، حتى داهمتها الانتفاضة الثانية، تلك الانتفاضة التي لم تقتصر على الهبات والمشاركة الشعبية، بل نجح الاحتلال في جزّ الحركة الوطنية إلى عسكرة الانتفاضة، وفي وقت لم تستعد القوى عافيتها، وتصلب أوضاعها وحلقتها وبنيتها التنظيمية، كان الاحتلال يقتلع ويدمر البنى والهياكل التنظيمية للقوى، ويغتال ويقتل العشرات من قادتها وكادراتها، وكذلك الزج بلمئات منهم في السجون، ولم تنجح لا السلطة ولا الفضائل في استثمار ما تحقق في الانتفاضة الثانية، كما حدث في الانتفاضة الأولى، كانت كارثة أو سلو، وفي الانتفاضة الثانية، كانت جدران الفصل العنصري، وعودة الاحتلال بشكله المباشر إلى كل مناطق الضفة الغربية.

من بعد ذلك جاء الانقسام المدمر المستمر والمتواصل، والذي خلق حالة واسعة من الإحباط واليأس في صفوف الجماهير، وراكم المزيد من الاحتقان وقادان الثقة ما بين الجماهير والفضائل، وخلق حالة ليست بسيطة من الانفضاض عن الفضائل والعزوف عن العمل الحزبي والسياسي، وأصبحت تنمو وتولد مجموعات شبابية وقوى مجتمعية تقوم بأنشطة وفعاليات مجتمعية وسياسية تطالب بإنهاء الانقسام واستعادة الوحدة الوطنية، ولكن حائل وجدرا الصد عند القوى القائمة على الانقسام والمستفيدة من بقاءه واستمراره كان أقوى من قدرة تلك الحركات والقوى المجتمعية، وحتى الفضائل الأخرى على اختراقها.

الانقسام كان يتعمق ويتكرس ويتشعب والاحتلال يتغول ويتوحش، والسلطة تمسك بخيار وينهج تقاوضي لم يقدم للفلسطينيين سوى المزيد من الضعف والتشرذم وضياح الأرض، والفضائل لم تعد تشكل حاضنة حقيقية قادرة على استيعاب طاقات الشباب وتأطيرها وتنظيمها، حيث أوضاعها الداخلية هلامية، وقياداتها وبرامجها نظمية ومتكسبة، ولم تعد قادرة على قراءة حقيقة وجديّة للمتغيرات ليس فقط في الواقع ولا في المجتمع الفلسطيني، بل المتغيرات والتطورات المحيطة بهذا الواقع.

ولكن رغم كل ذلك لم تلغ الفضائل ثوبها الوطني ولم تتخلّ عن حقوق شعبنا ولا ثوابته الوطنية، وبقيت رغم كل ما أصاب أوضاعها من ضعف وتراجع سواء لأسباب ذاتية أم موضوعية تدافع عن شعبنا في وجه آلة القمع الصهيوني، ودفعت أثمان الغالية في الحروب الثلاث التي شنت على شعبنا ومقاومتنا في قطاع غزة، وكذلك في الضفة الغربية، حتى أن الاعتقالات طالت رموزها وقياداتها، وكذلك الشهداء منهم الرموز والقادة، صحیح أنّ القوى والأحزاب تعيش أزمات وتراجعات، وتعاني من حالة من الضعف، ولكن رغم كل ذلك نجد أنها ما زالت تشكل درعاً وسيجاً لحماية المشروع الوطني، وهي بذلك ليست رجساً أو لعنة أو شرّاً مستطيراً، عليها الكثير من النقد في إطار النقاش وعدم القيام بدورها وواجباتها ومسؤولياتها وتنمط وتكلس وشيوخة قياداتها وبرامجها، وإخفاقها في إنهاء الانقسام واستعادة الوحدة الوطنية والصراع على سلطة منزوعة الدسم، وتقديم طرفي الانقسام (حماس وفتح) المصالح الفئوية والتنظيمية والحزبية على المصالح العليا للشعب الفلسطيني، ولكن هذا لا يعني أن نبقي مشبهين لسيف الجلد بسبب أو من دونة لهذه الأحزاب والفضائل، فالفضائل ليس بدليها العشائرية والجهوية، فهذا خيار سيكون أسوأ بمليون مرة من خيار الأحزاب والفضائل، ولا منظمات «الأنجزة» صاحبة المال السياسي المشروط والتي تحمل أجندات وأهداف، لا تصب في خدمة مشروعنا الوطني.

العمل على ديمقراطية الأحزاب والفضائل وإحداث تغييرات جوهرية في برامجها وهياكلها وقياداتها، بحيث تقف على رأسها قيادات شابة، والفضائل عليها أن تتخلى عن فكر «تقديم الأزمّة من خلال قدرتها على استنباط قيادات متجددة ومعاصرة والقدر المأمول، تضمن القدرة على التواصل. وغالباً ما تتوهم الفضائل أنّ المحافظة على استمرار القيادات – حتى ولو أصبحت عاجزة – نوع من الوفاء، الأمر الذي جعلها تتجمّد، وتتحنّن، وتتكدس وتحول لتلقّات بتاريخها، وإنجاز القادة السابقين، وقد نسيت القوى والأحزاب بأنّ الثبات إذا كان واجبا، فإنّ التغيير ضرورة.